الصور الوالدية عند المراهق المدمن على المخدّرات

دراسة عيادية

parental imagos in adolescent drug addicts clinical study

أحمد عوادي[1،*]، محمود بن خليفة[2]

[1]مخبر علم النفس المرضي والأنتربولوجيا التحليلية، جامعة الجزائر2 (الجزائر)، ahmedaouadi10@gmail.com

[2] جامعة الجزائر2" (الجزائر)، benkhelifa60@outlook.com

تاريخ الاستلام:09-12-2019 تاريخ القبول: 28-07-2020 تاريخ النشر: 01-09-2020

ملخص: تمثّل الصّور الوالدية تصوّرات لا شعورية تتشكل من العلاقات الواقعية والهوامية الأولى بين الطفل ووالديه، فيتم استدخالها لتصبح ضمن مواضيعه الداخلية، وعند بلوغ المراهقة فإن الفرد يسعى إلى تحقيق ذاتيته واستقلاليته عن والديه، فتبرز حينئذ تلك الصّور، فإن كانت مريحة ومُطمئِنَة فإنّ ذلك يشعره بالأمان ويساعده على تحقيق توازنه النفسي والإجتماعي أمّا إن كانت محبطة ومقلقة فإن المراهق سيعمل على تجنّبها ويسعى للتخلص من التبعية لها وهذا ما قد يدفعه إلى الوقوع في التبعية لمواضيع خارجية كالمخدّرات التي يدمن عليها.

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الصور الوالدية لدى المراهق المدمن على المخدّرات بغرض الكشف عن طبيعتها من خلال عرض حالتين عياديتين، وللّتحقق من فرضية الدراسة استخدمنا المنهج العيادي وأدوات بحث متمثّلة في مقابلة عيادية نصف موجهة واختبار الرورشاخ.

أظهرت نتائج هذه الدراسة أن المراهق المدمن على المخدّرات يمتلك حياة داخلية فقيرة تميّزها صور والدية مقلقة أو محبطة، وأنّ المخدّرات تمثّل بدائل تعويضية تسمح له بتجنّب تلك الصور.

الكلمات المفتاحية: صور والدية؛ مراهقة؛ إدمان؛ مخدّرات.

Abstract: Parental images are unconscious representations that are formed from the first real and fantasmatic relationships between the child and his parents. They are integrated to be part of his internal objects. In adolescence, the individual seeks to become independent from his parents, so these images emerge. If they are reassuring, he feels safe and thus reaches his psycho-social balance ; so, if they are distressing, he will work to avoid them and seek to get rid of them; which could cause him to become dependent on external objects such as drugs.

This study aims to clarify the parental images of adolescent drug addicts in order to reveal their nature through two clinical cases. To test the study hypothesis, we used the clinical method, the semi- guided clinical interview and the Rorschach test.

The results show that the adolescent drug addict has distressing parental images, and that the drug represents a substitute which enables him to avoid them

Key words: parental images; adolescence; drug addiction; drugs

*المؤلف المراسل

1- مقدمة:

تمثّل الأسرة المحضن الطبيعي الذي ينمو فيه الفرد وتتبلور فيه شخصيته، فمنذ الطفولة الأولى ومن خلال علاقاته الواقعية والهوامية بوالديه وممّا يعايشه من خبرات سارّة أو محبطة ترتسم لدى الطفل صورا لا شعورية عنهما، وهذه الصور تعتبر قاعدة بناء وتكوين للشخصية كما أنّها ذات تأثير بالغ على سلوكه وعلى تكيّفه النفسي الإجتماعي مستقبلا، فمنذ المراحل الطفولية الأولى يقوم الفرد باستدخال تلك الصّور لتصبح جزءا هامّا من المواضيع التي تشكّل عالمه الداخلي والهوامي.

عند البلوغ يتم إعادة تنشيط الصراع الأوديبي وإحياء الإشكاليات الطفولية العالقة كما يسعى الفرد أثناء ذلك إلى تحقيق الفردنة والإنفصال عن المواضيع الطفولية المستدخلة سابقا ممّا يجعله خاضعا لتجاذبات نرجسية وموضوعية تجعل الصور الوالدية حسب (Chabert, 2002) تبرز إلى الواجهة ضمن سجّل الإنفصال والسجّل الأوديبي مع ما تحمله من تصوّرات وعواطف مقلقة كانت مكبوتة خلال فترة الكمون لتعود بقوة في مرحلة بعدية l'après-coup المتمثّلة في المراهقة.

لا شك أنّ المراهقة ليست فترة زمنية يكون فيها الفرد طفلا وراشدا في نفس الوقت بل هي فترة لم يعد فيها الفرد طفلا كما أنّه لم يصبح راشدا، كما أنّ هذه الفترة كثيرا ما تكون صاخبة يبحث فيها الفرد عن هويّته وذاتيته ويعيش بفعل ذلك صراعات وتوتّرات وعدم استقرار كما نجده يعاني تناقضات صارخة على المستوى النفسي والسلوكي ويبدو متأرجحا بين عدّة رغبات متعارضة في آن واحد.

تصف (A, Freud, 1936, 149-150) حالة التناقض الذي يعيشه المراهقون بقولها: "المراهقون لا يثبتون على حال إذ ينتقلون من النقيض إلى النقيض فتجدهم يتأرجحون بين الطاعة العمياء لمن يقودهم وبين التّمرد ضدّ أي سلطة، كما يندمجون بحماسة كبيرة في حياة جماعية إلاّ أنّه أحيانا تتملّكهم رغبة عارمة في العزلة، يعملون أحيانا بحماسة وحيوية وأحيانا أخرى ينتابهم الإعياء والوهن كما نجدهم يجمعون بين الأنانية والمادية من جهة وبين الغيرية والمثالية من جهة أخرى".

كما يتميّز المراهق بصعوبات علائقية مع أفراد أسرته ومحيطه خصوصا الراشدين منهم وبصورة أخصّ الوالدين فالطفل لم يعد ذلك الوديع الهادئ كما ألفه والداه ولم يعد رفع الصوت من طرف الأب أو الأم كافيا لإسكاته أمّا الطاعة وتنفيذ الأوامر فتلك مسألة أخرى.

وسواء اعتبرنا المراهقة سيرورة نموّ انتقالية أو أزمة حقيقية واضطراب في النمو فإنّه كثيرا ما تُحدِث إرتجاجا في التقمّصات وفي النظرة للذات بسبب توجّه المراهق نحو العالم الخارجي المحيط به بحثا عن مواضيع خارجية جديدة يستثمرها وتكون المراهقة عندئذ حسب (Lauru, 2003, 118-124) أشبه بعملية قفز في الفراغ ويتحقّق هذا في ظلّ وجود صور والدية مرعبة أو مقلقة لا تسمح بحدوث تقمّصات أبوية ناجحة، فيلجأ المراهق عندها إلى مخالطة أشخاص أكبر سنّا منه بحثا عن ممثّلين للأبوّة فيقع بين يدي أشخاص منحرفين لا يدرك نهايته معهم فيكون قد قفز في الفراغ.

فإذا كانت الطفولة الأولى تفصل الطفل عن الأم الحقيقية بفضل إستدخالها، فالمراهقة (Bernateau, 2008) على العكس من ذلك تفصل الطفل المراهق عن مواضيعه المستدخلة (الصور الوالدية) وتقوده للقاء واستثمار موضوع جديد وحقيقي خارج أسرته.

أولت الباحثة Kestemberg المراهقة أهمية بالغة لما يحدث أثناء المراهقة من خلال مقالها: "الهوية والتقمّصات عند المراهقين: قضايا نظرية وتقنية" الذي نشرته عام 1962 فاعتبرت هذه المرحلة " منظّم نفسي " لما يحدث فيها من تعديلات على المستوى النفسي والتي يغطيها تنوع الأعراض والسلوكات كما سلّطت الضوء على الصعوبات العلائقية التي يجدها المراهق مع غيره – مع الراشدين عموما– والتي تعود في نظرها أساسا إلى حاجة المراهق لرفض الصور الوالدية (Kestemberg, 1962, 61) هذا الرفض يعزّزه إكتساب الجسم للنضج الجنسي وللقدرة التناسلية فيتمّ إحياء الصراعات الأوديبية وتصبح التقمّصات عندها صراعية مما يثير لديه قلقا بالغا، يدفعه إلى تعديل بنية الأنا الذي اهتزّ بفعل التغيرات التي فرضها البلوغ فيصبح المراهق مطالبا بإدماج هذا النضج الجسماني ضمن نظامه الليبيديني والعلائقي، وإضافة إلى رفض الصور الوالدية يلجأ المراهق إلى طيّ اللبيدو وسحبها من المواضيع فتصبح نرجسية غير أنّ العمل النفسي لا يتمّ بسهولة بل يرافقه شعور بالوحدة وبالإنطواء على الذات وأيضا قلق هوياتي angoisse identitaire متعلق بتماسك شخصيته، يريد أن يكون غريبا عن الآخرين فإذا به يصبح غريبا عن نفسه.

بالموازاة مع إحياء الإشكاليات الطفولية العالقة يتمّ استدعاء الصّور الوالدية المستدخلة أثناء الطفولة، فإن كانت تلك الصور مريحة ومُطَمْئِنة ساعد ذلك على تجاوز إشكاليات المراهقة والانتقال إلى سنّ الرشد بأمان، أما إن كانت مرعبة ومقلقة، فإن المراهق قد يسعى لتجاوز القلق الذي تثيره تلك الصور باللجوء إلى مواضيع خارجية كالمواد المخدّرة التي يتمّ تعاطيها بشغف إلى أن يدمن عليها وتصبح مركزا لاهتمامه ومحورا تدور حولها حياته لذا يرى (Brochu, 2006) أنّ السلوك الإدماني عموما يبدأ ويتعزّز أثناء تلك الفترة الحاسمة من حياة الفرد كما أكّدت عدّة مقابلات عيادية منجزة مع مدمنين من مختلف الأعمار أنّ تعاطيهم المخدّرات وولوجهم عالم الإدمان بدأ أثناء فترة المراهقة.

الإدمان على المخدّرات ليس وليد الصدفة بل هو ظاهرة متشابكة تتقاطع فيها الأبعاد البيولوجية، النفسية والإجتماعية للفرد فهو محصّلة معادلة (Vincent, 2008) ذات ثلاث وسائط كون الإدمان لقاء بين شخص ومادّة في سياق إجتماعي ثقافي معيّن كما ذهب إلى ذلك Olivenstein.

كما أنّه آفة حقيقية تعاني منها العديد من المجتمعات وتكمن خطورتها فيما تخلّفه من آثار تخريبية كبيرة على مستوى الوظائف الذهنية، النفسية والإجتماعية للشخص المتعاطي، كما أنّ انتشار هذه الظاهرة في بلادنا صار يدعو للقلق بحسب التقارير الصادرة عن الديوان الوطني لمكافحة المخدّرات والإدمان التابع لوزارة العدل (ONLD, 2017) وبالنظر إلى الكميّات الهائلة المحجوزة وللشبكات المروّجة التي يتمّ رصدها وتفكيكها في كل مرة ولقضايا الترويج الموضوعة أمام المحاكم، وما يزيد في خطورة الوضع هو تنوّع المواد المستعملة (إدمان متعدّد) فلم يعد القنّب أو الكيف هو المادة الوحيدة المستهلكة بل تعدّدت المواد المستعملة وتنوّعت لتشمل قائمة كاملة من العقاقير الطبية كالمهدّئات، المنوّمات، مسكّنات الألم وحتى بعض المذيبات العضوية والسوائل الطيّارة كالبنزين والبرنيق ومواد الغراء وقد امتدّت دائرة المخدّرات وشاعت لتشمل الإقامات والمراكز الجامعية والمؤسّسات التربوية وهذا ما جعل الشباب والمراهقين الشريحة الأكثر عرضة كون المراهق في هذه المرحلة الحاسمة من حياته يسعى للتخلّي عن المواضيع الطفولية ويبحث عن مواضيع حبّ جديدة فتستدعى عندئذ الصور الوالدية وتبرز إلى الواجهة ويكون ثقلها كبير على سيره النفسي ممّا يدفعه إلى التمسّك بمواضيع من الواقع الخارجي معبّرا عن ذلك باللّجوء إلى المخدّرات، وهذا ما دفعنا إلى تسليط الضوء على هذه الصور للكشف عن طبيعتها وقادنا إلى صياغة سؤال بحثنا كما يلي:

- ما هي طبيعة الصّور الوالدية عند المراهق المدمن على المخدرات؟

1.1- فرضيات الدراسة:

للإجابة على التساؤل إقترحنا الفرضية التالية:

نظريا، تتميز الصور الوالدية عند المراهق المدمن على المخدّارت بكونها مقلقة.

إجرائيا، تظهر الصور الوالدية المقلقة عند المراهق المدمن على المخدّرات ذلك من خلال عدم القدرة على إرصان الاشكاليات التي تستدعيها لوحات الرورشاخ التي تستدعي الصور الوالدية.

2.1- أهمية الدراسة:

يمكن تلخيص أهمية هذه الدراسة فيما يلي:

- كونها تستهدف مرحلة عمرية حاسمة من حياة الفرد تتسم بتغيرات جسمية ونفسية عديدة كما أنّ هذه الدراسة ترتبط بظاهرة الإدمان على المخدّرات التّي صارت تؤرّق بال العديد من المختصين والمربين لما لها من خطورة على الصحة الجسمية والنفسية للفرد.
- تساهم هذه الدراسة في الوقوف على العوامل النفسية العميقة المؤدية للإدمان عند المراهق.
- يمكنها أن تشكّل إضافة علمية من شأنها إثراء المعارف المتعلّقة بموضوع الإدمان على المخدّرات عموما وعند المراهقين بصورة خاصة.
- يمكن استغلال نتائجها أثناء العلاج والمرافقة النفسية للمدمنين على المخدّرات على مستوى المراكز والمصالح المختصة في ذلك.

3.1- أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى:

- معرفة طبيعة الصور الوالدية التي استدخلها المراهق المدمن على المخدّرات.
- معرفة بعض الأسباب النفسية اللاشعورية التي تدفع بعض المراهقين إلى تعاطي المخدّرات والإدمان عليها.

4.1- الحدود الزمانية والمكانية للدراسة:

- **الحدود الزمانية للدراسة:** استغرق البحث من الناحية الزمنية 3 أسابيع وهي المدّة اللازمة لإجراء المقابلة العيادية نصف موجهة وتطبيق إختبار الرورشاخ، على الحالتين كما أنّ هذه المدّة تمثّل الفترة التي يتطلّبها العلاج ويقضيها المراهق المدمن بمصلحة معالجة الإدمان بالمستشفى.
- **الحدود المكانية للدراسة:** تمّ إجراء هذه الدراسة على اثنين من المراهقين (سمير وعصام) يتواجدان للعلاج بمصلحة مكافحة الإدمان على المخدّرات الذي تمّ اللّقاء بهما بالمصلحة المذكورة والواقعة بمستشفى فرانتز فانون بالبليدة، وهي مصلحة تمّ افتتاحها منذ 1998 للتكفّل بالمدمنين ويوجد بها جناحان الأول للرجال والثاني للنّساء يدير المصلحة طبيب مختص بالأمراض العقلية في وجود فريق عمل يضمّ: أطبّاء مختصّون، أطباء عامون أعوان شبه طبيون، أخصائيات نفسانيات، مساعدات إجتماعيات.

2- مصطلحات الدراسة والدراسات السابقة:

1.2- مصطلحات الدراسة:

الصور الوالدية: يعزى مصطلح الصور الوالدية Imagos parentales إلى C. G. Jung الذي وضعه عام 1911 ليصف من خلاله الصور الأمومية، الأبوية، والأخوية ويعرّفه كل من (Laplanche & Pontalis, 2007, 196) على أنّه " تصوّر لاشعوري ونموذج أولي prototype يوجّه كيفية تعاطي الشخص مع الغير

ويبدأ تشكّل تلك الصور انطلاقا من العلاقات المبكّرة الواقعية والهوامية مع المحيط الأسري للفرد " يدلّ التعريف السابق على أنّ الطفل يستدخل الصور الوالدية والعلاقة التي تربطه بهما ومدى تفاعلهما معها منذ السنوات الأولى ثمّ يتمثّل تلك الصور ضمن معاشه النفسي.

من **الناحية الإجرائية** يتمّ الكشف عن الصور الوالدية من خلال مدى قدرة المراهق على إرصان المحتويات الكامنة التي تستدعيها لوحات الرورشاخ المتعلّقة بالصّور الوالدية وهي اللّوحات IV و VI التي تستدعي الصورة الأبوية واللّوحات I، VIIو IX التي تستدعي الصّورة الأمومية.

المراهقة: أثناء تعريف المراهقة وجب التركيز على ما يحث فيها من تغيرات على المستوى النفسي والسلوكي وتجاوز التعريفات التي ترى فيها مجرد فترة زمنية تسمح بالإنتقال من الطفولة والرشد، لذا يعرّفها (Jeammet,2001) على أنّها مرحلة هامّة أساسها التغيّرات التي تميّزها والمتعلّقة بالجسد والعلاقة بالوالدين كما تتّسم بإعادة تنظيم التوازن النرجسي الموضوعي ممّا يؤدّي إلى هشاشة العالم الداخلي.

من جهتها ترى (Kerstemberg, 1999, 61) في المراهقة "منظم نفسي'' وتعرّفها على أنّها مرحلة يتمّ فيها إعادة تنظيم الأنا الذي أثّرت فيه تغيّرات البلوغ ويصبح المراهق مطالبا باستدخال النمو الفيزيولوجي ضمن نظامه الليبيدني والعلائقي.

في دراستنا هذه فإنّا اعتمدنا إجرائيا على عامل السنّ فاعتبرنا المراهق المعني بدراستنا هو الفرد الذي يتراوح سنّه ما بين 14 و19 سنة.

الإدمان: يعرّف الإدمان حسب (سويف، 1996، 17) أنّه " كل حالة نفسية وأحيانا عضوية تنتج عن التعاطي المتكرر أو المستمر لمادة نفسية أو أكثر سواء أكانت طبيعية أو اصطناعية ويكون التعاطي بشكل يورث الإنشغال الشديد بالتعاطي وعجز أو رفض للإنقطاع أو حتى للتعديل فتصبح معه حياة الشخص تحت سيطرة التعاطي بحيث يستبعد معها أي نشاط آخر".

كما يركّز فطاير (2004، 33، 34) على ما يميّز الإدمان من رغبة جامحة ويشير إلى تعدّد مواضيعه ويؤكّد على خطورته فيعرّفه على أنّه: "رغبة جامحة نحو الموضوع الإدماني والذي قد يكون موضوعا ماديا كالمواد المخدّرة والخمر والحبوب والسجائر وغيره وقد يكون حدثا كالقمار والجنس والحبّ والعمل والكمبيوتر والهاتف والأنترنيت كما أنّ الإدمان أبطأ وأسوأ طريقة للإنتحار وأنّه أخطر رغبة جامحة عرفها الإنسان حيث تأخذ حياة المدمن وتدمّر كل من هو عزيز عليه ".

أما **إجرائيا** فإنّ الشخص المدمن في دراستنا هو المتواجد بمصلحة مكافحة الإدمان من أجل العلاج والذي يتعاطى المخدّرات بشكل يومي ولمدة تفوق السنة دون إنقطاع وتظهر عليه أعراض الانسحاب في غياب المادة المتعاطاة.

2.2-الدّراسات السابقة:

لقد تناولت العديد من الدراسات النفسية موضوع الصور الوالدية عند العديد من الفئات ولاسيما عند المراهقين وربطتها بمتغيرات مختلفة نذكر من بينها:

دراسة **أيت سيدهم (1984)** عنوانها: "التعبير عن الصور الوالدية عند المراهقات الجانحات " وهي دراسة وصفية مقارنة بين فتيات جانحات وأخريات غير جانحات، استخدم فيها الباحث أدوات عيادية تمثّلت في المقابلة العيادية نصف موجهة وإختبار إسقاطي موضوعي TAT، وتوصّل الباحث إلى أنّ الصور الوالدية

عند المراهقات الجانحات كانت تتميز بخصائص سلبية متمثّلة خصوصا في غياب الحبّ والحماية وحضور العدوانية والتناقض (Ait Sidhoum, 1984).

دراسة **بن أوسعد (2014)** بعنوان "الصور الوالدية عند الأطفال الذين يعانون من الفوبيا المدرسية خلال فترة الكمون " وهي دراسة عيادية لست حالات تتراوح أعمارهم بين 6 و12 سنة وقد استخدمت الباحثة المقابلة العيادية نصف موجّهة واختبار الدينامية الشخصية و الصور DPI وتحليل المحتوى، كما توصّلت في نهاية الدراسة إلى أنّ الصور الأبوية والأمومية تميّزت بالسّلبية وأن الصور المستدخلة غير قوية وغير ثابتة بما يكفي لتجعل الطفل يتطّلع إلى المدرسة (بن أوسعد، 2014).

دراسة **بيروق (2018)** بعنوان: "صورة الأب ودورها في ظهور السلوك الجانح لدى المراهق" وهي دراسة عيادية على مجموعة من الأحداث الجانحين المتواجدين بأحد مراكز التربية وقد استخدمت الباحثتان المقابلة العيادية نصف موجّهة واختبار إسقاطي موضوعي TAT وتوصّلت إلى أنّ لصورة الأب المهمل أو المتسلط علاقة بظهور السلوك العدواني فالإهمال العاطفي يفقد المراهق ثقته بنفسه وهذا ما يدفعه إلى العدوان كحلّ لإثبات ذاته وتأكيد قوته.

دراسة **بورافة وقهار(2019)** عنوانها: "الصور الوالدية: دراسة حالة مراهقة متكفّل بها في مصلحة الطبّ العقلي، طبقت الباحثتان المنهج العيادي على حالة واحدة تمثّلت في مراهقة متكفّل بها في مصلحة الطب العقلي واستخدمتا المقابلة العيادية نصف موجّهة واختبار تفهّم الموضوع TAT، وتوصّلتا إلى نتيجة مفادها أنّ الحالة المدروسة تحمل صورة سيئة وغير بنائية عن والديها ممّا سبّب لها أزمات واضطرابات نفسية دخلت بموجبها مصلحة الأمراض العقلية.

دراسة **صالحي وشقرونة (2019)** بعنوان: "تحديد الصورة الوالدية من حيث الشكل والوظيفة عند الطفل المريض بالربو وفعالية الذات لديه " تمّ استخدام المنهج العيادي في هذه الدراسة وتمثّلت مجموعة البحث في 3 أطفال مرضى بالربو أمّا أدوات البحث المستعملة فتمثّلت في مقابلة عيادية موجّهة والإستعانة بسلّم ساكس لفاعلية الذات لإدارة المرض المزمن، وقد خلصت الباحثتان إلى وجود علاقة بين الصّور الوالدية وفعالية الذات فالطفل يكون أكثر ارتباطا بوالديه من خلال المعاش الذي يجمعهم وهو المرض.

كما أنّ هناك العديد من الدراسات ربطت الصورة الوالدية بمتغيرات أخرى أمّا دراستنا فتميّزت عن الدراسات السابقة باستخدام إختبار الرورشاخ الذي هو إختبار إسقاطي يستدعي الإشكاليات البدائية على غرار الصور الوالدية وأن متغّير المراهق يعتبر عند الكثير من الأفراد بوّابة يلج منها إلى عالم الإدمان والمخدّرات.

3 – الطريقة والأدوات:

1.3– منهج الدراسة: حسب Festinger وKatz (ذكره أنجرس، 2010، 97) فإنّ قيمة النتائج تتوقّف على قيمة المناهج المستعملة وهذا مهما كان موضوع البحث (أنجرس، 2010)، لذا وبغرض التحقق من الفرضية المقترحة كإجابة عن سؤال إشكالية بحثنا كان علينا استخدام المنهج العيادي الذي يعتمد على دراسة الحالة وقد بدا لنا مناسبا لهذه الدراسة لأنّه كما يراه Anzieu (ذكره Doron, 2001, 17) يهتمّ بالدراسة المعمّقة لحالات فردية من أجل الكشف عن خصوصيات الفرد وكذا الإضطرابات المتعلقة بتوظيفه النفسي.

من جهة أخرى يضم هذا المنهج مستويين متكاملين (Fernadez & Pedenielli, 2006) يتمّ في الأول جمع المعطيات باستعمال (سلالم، إختبارات، مقابلات ...) وفي الثاني تتمّ الدراسة المعمّقة والشاملة للحالة.

من جهته لخّص Lagache المنهج العيادي معتبرا إياه (ذكره Perron, 2006, 14) الطريقة التي ينظر من خلالها النفساني العيادي للسلوك البشري حيث ينظر إليه في بعده الخاص وفي شموليته وفردانيته مع استخلاص وبأكبر قدر من الأمانة الطرق التي يكون عليها الفرد والتي يتصرّف بها في مواجهة وضعية معيّنة مع محاولة إعطاء معنى لذلك وفهم البنية والنشأة (la génése) والتعرّف عليها.

2.3- أدوات الدراسة:

استعملنا في هذه الدراسة أداتين عياديتين يناسبان موضوع الدراسة ويتوافقان مع المنهج العيادي المتّبع هما: المقابلة العيادية نصف موجّهة وإختبار الرورشاخ.

1.2.3-المقابلة العيادية نصف موجّهة:

تعتبر المقابلة العيادية حسب (Bénony & Chahraoui, 1999, 62) من أكثر الوسائل المستعملة سواء في العيادة أو في البحث فهي تسمح بجمع قدرا كافيا من المعلومات حول الحالة التي نرغب في دراستها وعادة ما ترتبط مقابلة البحث بدليل مقابلة يضمّ مجموعة أسئلة منظّمة في محاور محدّدة يعدّه الباحث ويناسب فرضيات بحثه كما تتميّز هذه المقابلة بأنّها لا تهدف للتشخيص أو العلاج كما أنّ الطّلب فيها يكون من الباحث وليس من المبحوث.

لقد تمّ تصميم مقابلة دراستنا بشكل يسمح باختبار فرضيات البحث والكشف عن الصور الوالدية التي نرغب في معرفة طبيعتها، لذا تضمّنت المقابلة 4 محاور موضّحة كما يلي:

المحور الأول: البيانات الشخصية للمفحوص وتخص السّن، المستوى الدراسي، نوع المخدّرات نمط تعاطيها ومدّة التعاطي.

المحور الثاني: العلاقات الأسرية وتضمّ نمط المعاملة الوالدية، نظرته لهذه المعاملة، العلاقة العاطفية مع الوالدين والتفاعل العاطفي بين أفراد الأسرة جميعا.

المحور الثالث: العلاقة بالمادة المخدّرة يشتمل هذا المحور على مكانة المخدّر ضمن تنظيمه النفسي والفكري والعلائقي للمفحوص، وصف الإنفعالات الحاصلة في حالة غياب المخدّر.

المحور الرابع: الآفاق المستقبلية للمفحوص للكشف عن وجود أو غياب مشروع مستقبلي، استثمار في الدراسة أو العمل.

2.2.3-إختبار الرورشاخ:

يعتبر الرورشاخ أحد أهمّ الإختبارات الإسقاطية التي يعتبرها بعض الباحثين (Anzieu & Chabert, 1987,) بمثابة الأشعة السينية التي تنفذ داخل الشخصية وتصوّر نواتها الخفية التي تظهرها عملية التمرير وتتمّ بعدها قراءتها من خلال تحليل وتفسير البروتوكول الناتج، فيظهر ما كان خفيا، أو كامنا و يصبح مكشوفا ما كان معقّدا ومستترّا ومن جهة أخرى تسمح المادّة الاسقاطية المحصّل عليها بفهم نوعية العلاقة مع الواقع وفي الوقت نفسه تمكّن من الوقوف على إمكانية الفرد لإدماج نظامه الفكري ضمن واقعه النفسي إذ يجد هذا الأخير نفسه أمام ضغوطات داخلية وخارجية تبيّن لنا كيف يواجه عالمه الداخلي ومحيطه الخارجي.

وفي سياق تطبيق الرورشاخ يذكر(سي موسي وبن خليفة، 2008، 158) أنّه يمكن تطبيق الرورشاخ على الأطفال، المراهقين والراشدين، على الأسوياء وعلى المرضى ولأغراض التكفّل العيادي أو البحث العلمي غير أن تطبيق هذا الإختبار يتطلب تحضير المفحوص من خلال طمأنته وكسب ثقته، فقبل مباشرة الإجراء يخصّص بعض الوقت للإستماع لاستفساراته عن عملية الفحص وأهدافها.

3.2.3-الصور الوالدية في اختبار الرورشاخ:

عرضت (Chabert, 1983, 50-88) وناقشت في كتابها Le Rorschach en clinique adulte أعمال عدة باحثين حول رمزية لوحات الاختبار ومحتواها الكامن وتوصّلت إلى خلاصة مفادها أن لوحات الاختبار وفق محتواها الكامن تستدعي محورين متكاملين لا يمكن الفصل بينهما: الأول يتعلق بتصوّر الذات الذي يشمل صورة الجسم واستثمار هذه الصورة في بناء الهوية وكذا استدخال الفرق بين الجنسين من خلال التقمصات الثانوية أما المحور الثاني فيتعلق بتصور العلاقات والتي من أهمها الصّور الوالدية.

تبدو الصورة الأمومية من خلال اللوحات: I، VII وIX أمّا الصورة الأبوية فتبدو من خلال اللوحات 4- 6.

قمنا أثناء هذه الدراسة العيادية بتمرير لوحات الرورشاخ العشرة على المفحوصَيْن وبعد التنقيط استخرجنا المخطط النفسي لكل منهما علما أنّ تنقيط الأشكال اعتمدنا فيه على دليل تنقيط الأشكال في الرورشاخ الذي وضعته بيزمان (Beizmann, 1966) ومع حصولنا على المخطط النفسي وتحليلنا لبروتوكولي المفحوصين إلاّ أنّنا اقتصرنا في هذه الدراسة على عرض النتائج المتعلّقة بالصور الوالدية أي اللّوحات التي يبعث محتواها الكامن إلى الصور الوالدية الأبوية والأمومية والتي ذكرت سابقا.

4- النتائج ومناقشتها:

1.4-عرض النتائج:

1.1.4-حالة سمير:

1-تقديم الحالة: يبلغ سمير من العمر 18 سنة غادر المدرسة من قسم السنة الثانية ثانوي (2AS)، هو الأول في الأسرة وله أخوان، بدأ سمير التدخين عندما كان عمره 9 سنوات أمّا المخدّرات والكحول فبدأ بتعاطيها وعمره 11 سنة، دخل حكيم عالم الادمان باستنشاق البنزين ثم تعاطي الكحول أمّا المخدّرات فيستعمل الكيف، والمهلوسات مثل parkedyl، عندما التقينا سمير بمصلحة مكافحة الإدمان لم يكن يعاني من أي اضطراب نفسي أو عضوي سواء أكان حادّاً أو مزمنا يمنعه من المشاركة في البحث، كما أنّه لم يكن تحت تأثير أي مادة مخدّرة أو مهلوسة وقت إجراء المقابلة العيادية أو عند تطبيق إختبار الرورشاخ.

2-نتائج المقابلة العيادية:

أظهرت المقابلة العيادية نصف موجّهة أنّ حديث سمير يطبعه الإنزعاج والتحسّر عند الحديث عن والديه حيث نشأ في جوّ أسري يسوده التوتّر وغياب التفاهم بين الوالدين ممّا أدّى بهما إلى الإنفصال في نهاية المطاف حيث يقول (بابا ما كانش يتفاهم مع يمّا وما كانش يصرف علينا) ولعلّ النقطة البارزة التي أثّرت في معاشه النفسي أيّما تأثير هي أنّ أمّه حسب قوله كانت تخون والده وتعاشر شخصا غريبا في غياب الوالد الذي يشتغل بعيدا عن الأسرة ولا يحضر إلاّ من حين لآخر، لقد تكلّم عن هذه النقطة بعدما التفت يمينا وشمالا للتأكّد من عدم وجود شخص ثالث وقال بنبرة يطبعها الحزن والحسرة: (رايح نقولك حاجة ما قلتها حتى لواحد من قبل، يمّا كانت تخون بابا وتمشي مع واحد أنا كنت صغير وبابا ما يجيش ديمة)، وهذه نقطة أساسية في المعاش النفسي للطفل

حيث أنّ الأم بسلوكها هذا (الخيانة الزوجية) لم تساعد الطفل على تحقيق مكانة للأب في فضائه النفسي وهذا ما أثّر سلبيا في سيرورته النفسية وفي تعامله مع المرحلة الأوديبية وفي كيفية معايشتها وتجاوزها وهذا بدوره منع الطفل من استدخال القوانين والحدود المتعلّقة بالأنا الأعلى ، وتصرّف الأم في حالة غياب الأب ترك فراغا نفسيا في مكان الفضاء الخاص بالأب ممّا جعل الطفل غير قادر على التصرف مع أبيه كأب، كما أنّ الطفل في هذه الحالة يبحث دائما في الخارج عن أشخاص ممثّلين للأبوة وهذا ما جعله يخالط أشخاصا يفوقونه سنّا (كنت صغير كنت نخالط ناس كبار عليا نتاع شراب وكيوفات نقعد معهم ومن بعد تعلّمت منهم).

من جهة أخرى نجده يشكو من سوء معاملة والده له، إذ يعامله كعدوّ على حدّ تعبيره بل بلغ الصراع بينهما حد التشابك بالأيدي ناهيك عن السبّ والشّتم واستعمال حتى الألفاظ النابية والعبارات المخلّة بالحياء وهذا ما خلّف فراغا عاطفيا وهشاشة نرجسية جعلته يشعر بالدونية مقارنة بأقرانه (نحقر روحي كي نشوف أصحابي مع باباهم تقول صاحبهم وأن بابا عدوّ).

أمّا عن علاقته بالمادة المخدّرة (الكيف) فهي شغله الشاغل فحياته صارت تتمحور حولها، فكان يتعاطاها يوميا بكميات معتبرة وبشغف فكانت تمثّل مصدرا للراحة والمتعة كما تجنّبه الشجار والخصومة مع أفراد أسرته، كما أنّه لم أصبح يشعر أنّه لم يعد يستطيع الاستغناء عنها أو التخفيض من الكمية التي يتعاطاها يوميا.

3- إختبار الرورشاخ:

تميز بروتوكول الرورشاخ لسمير بفقر في الإنتاجية إذ لم يتجاوز عدد الإجابات R= 9 أما مدّة الإختبار فكانت هي الأخرى قصيرة لم تصل إلى المدّة المعيارية، كما قام المفحوص بتقليب معظم اللّوحات مرات عديدة وفي كل الاتجاهات مع اللّجوء إلى طلب الإسناد من خلال سؤال الفاحص أمام اللّوحات (I، VI، IX)، أمّا الإجابات فكانت في مجموعها مختصرة كما تميّز البروتوكول بطغيان التناول الجزئي D للوحات على حساب التناول الشامل G وبسيادة المحدّدات الشّكلية F أمّا المحتوى فيفتقر للتنوع إذ اقتصر على الإجابات الحيوانية الكاملة A والجزئية Ad وبعض الإجابات الإنسانية الجزئية Hd كما انعدمت في البروتوكول الصّور والحركات الإنسانية الكاملة H وK وذلك حتى في اللوحات التي يوحي محتواها الظاهري بذلك كاللوحة I، III وVII.

كما أظهر تناول اللوحات المتعلّقة بالصور الوالدية أنّ سمير في اللوحة I لجأ إلى التحفظ في الإجابة والإستناد على الفاحص (هذا واش هو؟ هذا نسر يا خيت نسر؟ ماش راهو طاير؟ هو) ومع ذلك لم يدرك المحتوى الإنساني المتمثّل في شكل المرأة على المحور الوسطي للوحة بل اكتفى فقط بحركة حيوانية لتفادي القلق الذي قد تثيره صورة الأم باعتبارها موضوع الحب الأول.

في اللوحة VII كانت الإجابة ذات محتوى إنساني لكنّه جزئي Hd، (زوج وجوه كيف كيف متقابلين يشوفو في بعضهم) أما عند اللوحة IX فكانت الإجابة ذات محتوى شيئي بدائي (عين نتاع الماء انفجرت من تحت الأرض) تبدو الصور الأمومية غير واضحة وغير مستقرّة كما أنّه لم يتمّ استثمارها و، pays وبمحدّات شكلية أو حركية جزئية تميل إلى السكون kstatique وهذا دليل على عجز المفحوص وعدم قدرته على إرصان المحتويات الكامنة التي توحي بها اللوحات والتي من بينها الصور الأمومية.

عند اللوحتين IV و VI اللتين ترمزان إلى السلطة الأبوية وإلى القوّة وإلى الرمزية الجنسية لم يتمكن المراهق من بناء إجابة شاملة ولو بسيطة G رغم اللّوحتان موحّدتان ومنغلقتان فكان تناوله للّوحة IV تناولا جزئيا وأعطى إجابة شكلية تظليلية (طريق طويلة) ممّا يوحي بالاستكانة والسلبية، أمّا اللوحة VI التي تعبّر عن الجنسية فقد تناولها تناولا شاملا لكنّه تخريفيا G confabulé وبمحتوى شيئي (هذا شغل تريكو) يعبّر عن التغطية وإخفاء

العالم الداخلي، هذه الإجابات تعكس عجز المفحوص عن إدراك صورة أبوية تقمصية لأنها صورا لاشعورية تبعث على القلق والإنزعاج وقد تشكّلت منذ الطفولة الأولى وتكرّست من خلال سلوكات الوالدين ومعاملتهما لولدهما قبل وبعد انفصالهما ولم يتمكّن المراهق من تسيير وتفريغ القلق أو تجاوزه إلاّ من خلال المرور إلى الفعل عبر السلوك الإدماني، فصورة الأم في نظره مصدر إحباط – رغم ما توفّره له من إحتياجات ولوازم مادية – نظرا لما كانت تمارسه في غياب الأب (الخيانة الزوجية).

2.1.4-حالة عصام:

1- تقديم الحالة:

عصام عمره 16 سنة، وهو الولد الوحيد لأبويه، يعيش في بيت خالته، انقطع عن الدّراسة عند السنّة الثالثة متوسط ($3^{eme}AM$)، يستهلك العديد من المواد كالقنّب (الكيف)، الحمرة (Rivotryl)، l'Artane والصاروخ (Prégabaline) وهذا منذ ما يقارب 3 سنوات دون انقطاع، للتذكير فقد التقينا عصام بمصلحة مكافحة الإدمان ولم يكن يعاني من أي اضطراب نفسي أو عضوي حادّ أو مزمن يمنعه من المشاركة في البحث، كما أنّه لم يكن تحت تأثير أي مادّة مخدّرة أو مهلوسة وقت إجراء المقابلة العيادية أو عند تطبيق إختبار الرورشاخ.

إلتقينا سمير وعصام بمصلحة مكافحة الإدمان بمستشفى فرانز فانون بالبليدة حيث كان يقيمان من أجل العلاج، أبدى المفحوصان الرغبة في الإقلاع عن المخدّرات كما أظهرا تعاونا مع الباحث وهذا بعد طمأنتهما إلى أنّ المعلومات الخاصة التي يدليان بها ستحظى بسرية تامّة ولا تستخدم إلاّ في أغراض البحث العلمي وأنّه بإمكانهما الإنسحاب من المشاركة إن رغبا في ذلك دون أن يؤثر ذلك على السيرورة العلاجية لكل منهما.

2-نتائج المقابلة العيادية:

نشأ عصام في أحد الأحياء الشعبية والغريب أنّه نادرا ما يلتقي والديه كونه نشأ في بيت خالته وليس في بيت والده مع أنّه الولد الوحيد للأسرة ممّا يجعلنا نتساءل عن مدى تقبّل والديه له وهذا ما يدفعنا أيضا للتساؤل عن طبيعة تصوراته لوالديه وعلاقته بهما، فمنذ طفولته كان يقضي أغلب وقته خارج البيت ولا يدخل إلاّ في وقت متأخر من اللّيل في ظل إهمال خالته له حسب قوله (يمّا خلاتني عند خالتي من نهار كنت صغير وشغل خالتي ما على بالهاش بيا نسهر برا، ما تقولي والو) هذه الوضعية خلّفت لديه فراغا نفسيا وعاطفيا كما أنّه يشعر بالقلق والإنزعاج عندما يتحدّث عن والديه الذي يرى فيهما مجرد أبوين بيولوجيين لا غير (بابا ويمّا ... واش نقول لك شغل جابوني برك، ما عنديش معهم علاقة نتلاقاو منين ذاك) فلم ينعم بالدفء في أحضانهما كما لم ير فيهما المثل والقدوة (واش يمثلوا لي؟ ما يمثلوا والو بالنسبة لي ضرك) رغم أنّ والدته صارت تتقرّب منه أكثر في المدّة الأخيرة وهي التي جاءت به إلى المصلحة للعلاج.

منذ سن العاشرة أصبح عصام يخالط أناسا أكبر منه سنّا يدخّنون ويتعاطون المخدّرات وما دفعه إلى ذلك أكثر هو أنّ أقرانه ورفاقه في الحي صاروا يتجنّبونه وينعتونه بـ (المسوفج) حسب تعبيره وصار العديد من الأولياء في الحي يحذّرون أبناءهم منه ومن جهة أخرى كان من خلال سلوكه يبحث عن صور والدية في ظل الغياب العاطفي والفعلي للأب (وليت نخالط ناس منّا نركب معهم في الطوموبيلات ومن بعد الأولاد اللي قدّي قالوا لهم باباتهم ما تزيدوش تخالطوه) ولكونه صغير السنّ ولا تظهر عليه ملامح التعاطي أو الإدمان فقد تمّ استغلاله في ترويج المخدّرات والحبوب المهلوسة إلى صار يتعاطاها بشكل يومي (العباد التي كنت معهم كانوا كانوا هوما اللي يعطولي بلا ما نشري يبعثوني نشري لهم نبيع لهم خطرش أنا صغير ما يديروهاش فيا).

أمّا المادة المخدّرة فيرى أنّها تمنحه الشعور بالمتعة وبالقوّة إذ يرى نفسه أفضل من أقرانه (تعطي لي plaisir، نحس روحي fort شغل les hommes واحد ما ينجم لي) وهي قيمة يبحث عنها من خلال المحدّر إلا أنّها قيمة مزيّفة، وفي غيابها يشعر بفراغ رهيب لا يستطيع تحمّله ممّا يجعله يحتقر ذاته وأنّه لا يساوي شيئا بدون استهلاك المخدّر (كي ما نكونسوميش نحسّ روحي فاشل عندي vide شغل ما نصلح لوالو vraiment نحقر روحي نتاع الصح).

3-نتائج الرورشاخ:

بروتوكول عصام لا يختلف كثيرا عن بروتوكول سمير، فقد تميّزت إجاباته بالإختصار والإقتضاب فلم يتجاوز الزمن الكلّي المستغرق 8 دقائق، وتمّ رفض اللوحة VI وهي لوحة ذات رمزية جنسية ويشير محتواها الكامن إلى الصورة الأبوية، من جهة أخرى نسجّل طغيان التناول الجزئي D على البروتوكول وسيادة المحدّد الشكلي F الذي كان في أغلب اللوحات من النمط الردئ F^- ممّا يدلّ على فشل الرّقابة وتشويه الواقع الإدراكي كما نسجّل قلّة تنوع المحتويات فقد اقتصرت في غالبيتها على المحتويات الحيوانية الكاملة A والجزئية Ad ممّا يدلّ على فقر كبير في التصوّرات لدى عصام، كما اكتفى المفحوص بحركة إنسانية واحدة مكبوتة متّجهة نحو السكون K_{st} في اللوحة III.

أمام اللوحات I، VII، IX التي يتعلق محتواها الكامن بالصورة الأمومية نجد أنّ هذا المفحوص قلّب اللّوحات في كل الإتجاهات كما أنّ إجاباته ميّزها التحفّظ وجاءت خالية من التعليقات الشخصية ففي اللوحة I (بانت لي كي شغل فراشة) فلم يدرك الصورة الإنسانية المتمثّلة في المرأة التي ترفع يديها في المحور الوسطي للوحة، وعند اللوحة VII كانت الإجابة ذات محدّد شكلي ردئ F^- ومحتوى بدائي من عالم النباتات Bot (حشيش هذا والا ... شجرة) ويكون بذلك قد ابتعد عمّا ترمز إليه اللوحة.

أمام اللوحة IX التي تناولها المفحوص تناولا جزئيا نسجّل ظهور محدّد لوني C هو الوحيد في البروتوكول ويعبّر عن انفلات النزوة وبروزها رغم سيطرة المحدّدات الشكلية على البروتوكول كما أنّ الإجابة ذات محتوى نباتي لا علاقة له بالصورة الأمومية.

أمام اللوحتين IV، وVI وهما لوحتان موحّدتان ومتماسكتان تستدعيان الصورة الأبوية نجد أنّ المفحوص تناول اللوحة IV بشكل شامل G وكان محتوى الإجابة حيوان خرافي (A) يبعث على الرّعب (هذا وحش والاّ تنّين يخوّف) أما اللّوحة VI فقد رفضها كلية ولم يقدّم أي إجابة مكتفيا بقوله (هذي ما فهمت فيها والو).

2.4- تحليل النتائج:

كشفت معطيات إختبار الرورشاخ الصعوبات التي واجهها المفحوصان سمير وعصام أمام الوضعية الإسقاطية التي تثيرها اللوحات خصوصا تلك التي تكشف عن طبيعة الصور الوالدية، فقلّة الإجابات وإختصارها وعدم استغراق الوقت الكافي عند تناولها يعبّر عن عدم استثمار لوحات الإختبار والعجز عن إدراك المحتوى الكامن الذي تستدعيه كما نجد عند الحالتين طغيان المحدّدات الشكلية الذي يدلّ على التعلّق بالواقع الخارجي ومحاولة خنق الحياة العاطفية والهوامية (Anzieu & Chabert, 1987, 74) مع محاولة الإستناد عليه للتعويض عن الفقر في الحياة الداخلية الهوامية والتي لم يتمّ استثمارها ضف إلى ذلك الإنزلاق الإدراكي الذي وقع عصام والذي تمّ التعبير عنه بارتفاع المحدّد الشكلي الردئ F^- أمّا عن الفقر المسجّل في محتوى الإجابات والتي كانت غير متنوعة فيدلّ على فقر وشلل في التصّورات واللجوء إلى الفعل واستثمار مضاد للحياة الداخلية فحسب (Jeammet, 2005) فإنّ المراهق يشهد صراعا عنيفا بين المحورين النّرجسي والموضوعي فإذ الم تكن القواعد

النرجسية صلبة يمكن للصراع أن يؤدي إلى نزع الاستثمار من التصوّرات الذهنية وحتى شللا في الفكر وشبه توقف للحياة الهوامية والعاطفية لصالح الرقابة واللجوء إلى الفعل أو للحياة الخارجية كاستثمار مضاد للحياة الداخلية.

كما أنّ الإستناد على المواضيع الخارجية وسيادة المحدّدات الشكلية يتوافق مع استعمال مادة مخدّرة كموضوع خارجي تكون وظيفته ملأ الثغرات وتضميد الجروح النرجسية التي تعرض لها كل من سمير وعصام بفعل الإحباطات الناتجة عن الصورة المؤلمة للأب الغائب عاطفيا عن مجالهما هذا الغياب يتكرس بفعل المعاملة القاسية والمحبطة للأب في حالة سمير وفي التخلّي والإهمال الوالدي في حالة عصام، ففي هذه الحالة يرى تشكِّل الحاجة إلى الموضوع تهديدا نرجسيا فيستجيب الأنا ويعوّضه – أي الموضوع – بمادة الإدمان التي يجعلها تحت سيطرته كما تميّز إنتاج المفحوص بغياب الصور الإنسانية الكاملة حتى في اللوحات التي تقتضي ذلك فعدم إدراك الصورة الإنسانية الممثّلة في المحور الوسطي للوحة I واكتفاء كل من المفحوصيْن بإجابة حيوانية إضافة إلى التساؤل الذي رافق الإجابة يمثل محاولة للتخفيف من القلق الذي تثيره الصورة الأمومية اللاشعورية عندهما وفي نفس سياق لم يتمكّنا من إدراك صورة أمومية مريحة ومحتوية في اللوحة VII حيث أدرك سمير محتوى إنساني جزئي غير مكتمل أمّا عصام فالإنزلاق الإدراكي الذي ميّز إجابته يدلّ على صورة أمومية لاشعورية محبطة، مزعجة وغير حاوية.

لا شك أنّ الصورة الأمومية السّابقة عند كل من المفحوصيْن رسّخها وكرّسها سلوك الأم في الواقع فسمير لم تساعده أمّه في رسم الحدود النفسية والإجتماعية من خلال ما كانت تمارسه في غياب الأب، والصورة مشابهة عند عصام إذ أن الأم تخلّت عنه في وقت هو في أمسّ الحاجة إليها ممّا شكّل لديه حرمانا عاطفيا وفراغا نفسيا حاول كل من المفحوصين ملأه باللجوء للمادة المخدّرة.

الصورة الأبوية لم تكن أحسن حالا من الصورة الأمومية عند المفحوصَيْن ذلك أنّ سمير أخفق في بناء إجابة شاملة عند اللوحتين IV وVI كما أنّ ابتعد كثيرا عن المحتوى الكامن للوحتين فلم يدرك صورة الأب في شكل سلطة ممثّلة في اللوحة ولا الرمزية الجنسية في اللوحة VI حيث توحي إجاباته بالإستكانة والسعي إلى تغطية النقائص الداخلية والإبتعاد عن الصورة الأبوية المقلقة، ونفس الصورة الأبوية تشكّلت لدى عصام الذي أبدى إنزعاجه من اللوحة IV المخيفة حسب تعبيره، ورفضه للوحة VI المعبّرة عن الجنسية هذا الرفض هو بمثابة مؤشر لصدمة مواجهته لصورة أبوية نشأت في ظلّ أب محبِط متخلي عن ابنه الوحيد الذي لم يجد في محيطه من هو ممثلا للأبوّة غير أناس منحرفين قادوه وهو الشاب الصغير إلى عالم الإدمان على المخدّرات.

3.4-مناقشة النتائج:

تمثّلت دراستنا في محاولة تسليط الضوء على الصور الوالدية لدى المراهق المدمن على المخدّرات بغرض الكشف عن طبيعتها من خلال دراسة حالتين عياديتين استخدمنا فيها كلا من المقابلة العيادية نصف موجهة وإختبار إسقاطي هو الرورشاخ، وكانت النتيجة أنّ المراهق المدمن على المخدّرات يحمل صورة سلبية وغير واضحة عن والديه تتميز بكونها مقلقة ومحبطة وهذا ما يثبت الفرضية المقترحة في بداية الدراسة.

اقتربت هذه النتائج كثيرا ممّا تمّ التوصّل إليه في بعض الدراسات السابقة كدراسة آيت سيدهم (1984) حول التعبير عن الصور الوالدية عند المراهقات الجانحات، والذي توصّل إلى أن الصور الوالدية عند هذه الفئة تتميز بالسلبية أيضا وتتسم بغياب الحبّ والحماية وأيضا دراسة بيروق (2018) حول **"صورة الأب ودورها**

في ظهور السلوك الجانح لدى المراهق" التي توصّلت إلى أنّ لصورة الأب المتسلّط أو المهمل دورا في ظهور السلوك الجانح لدى المراهق.

كما أظهرت نتائج الدراسة من جهة أخرى أن بداية تعاطي المخدّرات والإدمان عليها جاء بفعل مخالطة المراهقيْن لأشخاص يكبرونهما سنّا لأنهما كانا يريان فيهم ممثّلين للأبوّة المفتقدة عند الوالدين الذي كانا غائبين عاطفيا ووجدانيا قبل أن يغيبا جسميا وماديا ومعلوم أنّ إخفاق الأب (Corneau, 2009, 26) في وظيفة الأبوة ينتج عنه إخفاقا وفشلا لدى الإبن، كما أظهر تحليل بروتوكول الرورشاخ وخاصة اللوحات المتعلّقة بالصور الوالدية أنّ المفحوصين يملكان حياة نفسية داخلية فقيرة تميّزها صور والدية غير مريحة بل مقلقة ومحبطة وهذا ما جعلهما يلجأن إلى الوسط الخارجي للبحث عن مواد تجنبهما القلق الذي يعيشانه بفعل تلك الصور وتسمح لهما بالتحكم بتوجيه المشاعر المؤلمة والتحكّم فيها وهذا ما ذهب إليه (Pommereau, 1997, 26) حول المرور إلى الفعل وعدم تقدير عواقب ذلك، إذ يرى أن: " كل مرور إلى الفعل – ومنه الإدمان – يمثّل وسيلة للإنسحاب من ماضي مؤلم أو من تبعية والدية كبيرة مفرطة أو تصورات غير مقبولة ثم يعطي نفسه الشعور بتوجيه والتحكم في الفائض من المشاعر والعواطف".

كما أنّ تعلّقهما بالمخدّر يشكّل ضمادة للإحباطات المتعدّدة سواء نتجت عن ممارسة الأم للرذيلة (الخيانة الزوجية) وعمّقتها معاملة الأب القاسية والعنيفة أو نتجت عن التّخلّي الوالدي عن طفل وحيد وما نتج عنه في الحالتين من عدم رسم للحدود النفسية والإجتماعية للمراهق الذي وجد في المخدّر موضوعا خارجيا يقيم معه علاقة يرى أنّه يستطيع التحكم فيها، وهذا يؤكّد أنّ الإدمان (Jeammet & Corcos, 2001, 56) يمثّل محاولة لإستبدال علاقة بين شخصية بموضوع مادي متحكّم فيه ومتجدّدا إراديا أي أنّه غير قابل للتلاشي والزوال.

كما أنّ البحث عن تلك الإستعدادات النفسية للإدمان ينبغي أن يتمّ ضمن الماضي الطفولي للفرد وفي علاقاته الأمومية الأولى حيث ترى (Mc Dougal, 2004) أنّ السلوكات الإدمانية تعزى إلى نقص في السَّند الأمومي الذي لا يسمح للفرد بإرصان سيرورة الإنفصال فيعاش الموضوع الأمومي الداخلي كأنّه غائبا أو غير قادر على مواساة وطمأنة الطفل المضطرب.

5-الخلاصة:

أظهرت الدراسة العيادية لهاتين الحالتين باستخدام مقابلة عيادية نصف موجّهة وبتطبيق إختبار الرورشاخ أنّ المراهقة تجعل المواضيع التي تعلّق بها الفرد أثناء طفولته على المحكّ وتكشف عن النقائص التي عايشها وعن الإشكاليات العالقة فعند بعض المراهقين على غرار سمير وعصام تكون الصور الوالدية غير واضحة ومقلقة وهذا ما يمنع حدوث تقمّصات ناجحة ويجعلهما يفقدان المعالم ولا يضبطان حدودهما في وجود والدين حقيقين تجمعهما علاقة صراعية ولّدت الفراق بينهما أو في وجود فراغ عاطفي ناتج عن تخلّي الوالدين عن طفلهما الوحيد ممّا جعل المراهقيْن يلجئان حينئذ إلى مواد مخدّرة من الوسط تجنّبهما القلق الناتج عن تلك الصور الهوامية المقلقة والمحبطة في غياب أي سند داخلي أو خارجي، وفي محاولة منهما للتّحرر من التبعية لتلك الصور – خصوصا الأبوية منها– فإنّهما يلجئان إلى المادة المخدّرة يستهلكانها بشغف وبمتعة وتصبح محورا تدور حولها حياتهما ولا يستطيعان التحرّر منها أو حتى التحكّم فيها ويؤكد (Brusset, 2004) على ذلك إذ يرى أنّ المراهق وأثناء محاولته لتجاوز التبعية العاطفية للمواضيع الأوديبية فإنّه يقع في شكل آخر من التبعية والذي يتعزّز من خلال

سيرورة دائرية processus circulaire كما يشير إلى الطابع النرجسي لهذه العملية وإلى بعدها التخريبي الذاتي autodestructive، كما أنّ للسلوك الإدماني دلالة أخرى (Richard, 1998, 51) إذ من خلاله يعبّر المراهق عن رفضه لماضيه الطفولي كما أنّه يستعمله في معارضة ومواجهة الوسط العائلي والإجتماعي وكذلك قطع الروابط مع ذلك الماضي.

- **إقتراحات:**

سلطنا الضوء في هذه الدراسة على الصور الوالدية عند المراهق المدمن على المخدّرات وتوصّلنا إلى الكشف عن طبيعتها فتبيّن أنّها مقلقة، محبطة أو مخيفة تدفع بالمراهق إلى السلوك الإدماني، هذه الدراسة سمحت لنا بتقديم بعض الإقتراحات التي نرى أنّها تفتح آفاقا جديدة سواء في البحث العلمي أو في التكفّل النفسي بهذه الفئة:

1- إنجاز المزيد من البحوث والدراسات الميدانية حول الوظيفة الوالدية (الأمومية والأبوية) وإبراز تأثيرها على السير النفسي للمراهق، نمط التعلّق والعلاقة بالموضوع عند المراهق المدمن، تصوّر الوظيفة الوالدية عند والدي المراهق المدمن، وعند الوالد المدمن على المخدّرات.

2- إبراز الصور الوالدية والعمل على تحسينها والتخفيف من ثقلها من خلال المقابلات والجلسات العلاجية وكذا إشراك الوالدين في السيرورة العلاجية أثناء التكفل بالمراهق ضمن علاج أسري نسقي.

3- تعزيز تدخّل الأخصائي النفسي والرّفع من مستوى تكوينه وتدعيم دوره في التكفل النفسي بالمدمنين على المخدّرات وتعزيز المقاربات والممارسات النفسية أمام المقاربات والممارسات الطبية.

- **الاحالات والمراجع:**

أنجرس، موريس (2010). *منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية- ترجمة:* بوزيد صحراوي، كمال بوشرف، وسعيد سبعون. الجزائر: منشورات القصبة.

بن أوسعد، نبيلة (2014). *الصور الوالدية عند الأطفال الذين يعانون من الفوبيا المدرسية خلال فترة الكمون. دراسات نفسية وتربوية*. العدد 12. 165- 190.

بورافة، هجيرة وقهار، صبرينة (2018). *الصور الوالدية: دراسة حالة مراهقة متكفّل بها* في مصلحة الطبّ العقلي د راسات في العلوم *الإنسانية والعلوم الاجتماعية*. 32 (2). 282- 294.

بيروق، نور الهدى هناء (2018). صورة الأب ودورها في ظهور السلوك الجانح لدى المراهق. *مجلة التغير الاجتماعي*. 3 (2). 213- 232.

الديوان الوطني لمكافحة المخدّرات والإدمان، وزارة العدل- (2017) . *الحصيلة السنوية: نشاطات مكافحة المخدّرات والإدمان*. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

سويف، مصطفى (1996). *المخدّرات والمجتمع: نظرة تكاملية*. الكويت، الكويت: عالم المعرفة.

سي موسي، عبد الرحمان وبن خليفة، محمود (2008). *علم النفس التحليلي والاسقاطي*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

شقرونة، فطيمة الزهرة وصالحي، حنيفة (2019) تحديد الصورة الوالدية من حيث الشكل والوظيفة عند الطفل المريض بالربو وفعالية الذات لديه. *مجلة العلوم الإنسانية جامعة أم البواقي*. 6 (1). 128- 141.

فطاير، جواد (2001). *الإدمان: مراحله، أنواعه، علاجه*. القاهرة: دار الشروق.

Ait Sidhoum, A. (1984). *Expression des images parentales chez les jeunes filles algeriennes délinquantes.* Thése de Doctorat en psychologie clinique. Université Paris V.

Anzieu, D., & Chabert, C. (1987). *Les méthodes projectives.* Paris: Quadriage Puf.

Beizmann, C. (1966). *Livret de cotation des formes dans le Rorschach.* Paris: centre de psychologie appliquée.

Bernateau, I. (2008). La séparation, un concept pour penser les relations précoces et leurs réaménagement. *Psychiatrie de L'enfant* . 51. 425-455.

Brochu, S. (2006). *Drogue et criminalité.* Montreal, Canada: presse universitaire.

Brusset, B. (2004). Dépendance addictive et dépendance affective. *Revue Française de Psychanalyse* .2 (68). 405 - 420.

Chabert. (1983). *Le Rorschach en clinique adulte, interpretation psychanalytique.* Paris: Dunod.

Chabert, C. (2002). Les parents interieurs. *La psychiatrie de L'enfant* .2 (45). 379- 391.

Corneau, G. (2009). *pére manquant fils manqué.* Paris: J'ai lu.

Doron, J. (2001). *La méthode du cas en psychologie clinique et en psychopathologie.* Paris: Dunod.

Fernandez, L., & Pedinielli, J. L. (2006). La recherche en psychologie clinique. *Recherche en Soin Infirmiére. 84* (1). 41-51

Freud, A. (1936). *Le moi et les mécanismes de defense.* Paris: Presses universitaires de France.

Jeammet, P. & Corcos, M. (2001). E*volution des problématiques a l'adolescence.* Doin edition.

Laplanche, J., & Pontalis, J. B. (2007). *Vocabulaire de la Psychanalyse* (éd. 5eme). Puf.

Lauru, D. (2003*).* Figure de l'autorité à l'adolescence. *Enfance & Psy.* 22 (2). 118-124.

Mc Dougal, J. (2004). L'économie psychique et l'addiction. *Revue Française de Psychanalyse*. 511- 527.

Miel, C. (1999). *La toxicomanie ou la* quête *impossible de l'objet*. Psychotrope . 1 (8). 7- 21.

Perron, R. (2006). *La pratique de la psychologie clinique.* Paris: Dunod.

Perron, R. (2006). *La pratique de la psychologie clinique.* Paris: Dunod.

Richard, F. (1998). *Les troubles psychiques à l'adolescence.* Paris: Dunod.

Vincent, O. (2008). Claude Oliveistein : L'homme qui a changé l'approche de la toxicomanie. L'expresse. https://www.lexpress.fr/actualite/societe/sante/claude-olievenstein-l-homme-qui-a- changé-l-approche-de-la-toxicomanie_726425.html . site visité le 01/10/2019.

كيفية الاستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

عوادي، أحمد وبن خليفة، محمود (2020). الصور الوالدية عند المراهق المدمن على المخدّرات دراسة عيادية. *مجلة العلوم النفسية والتربوية*. 6(3)، الجزائر: جامعة الوادي، الجزائر. 188-202.